

المرجعية الدينية واستشراف المستقبل " الخطاب الفاطمي أنموذجاً " بقلم الشيخ
حسن العكيلي



المرجعية الدينية واستشراف المستقبل " الخطاب الفاطمي أنموذجاً "

بقلم الشيخ حسن العكيلي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

العلماء هم ورثة الأنبياء وخزان العلم ودعاة الحق وأنصار الدين يهدون الناس إلى معرفة الله وطاعته

روي عن الإمام الباقر " عليه السلام" قال {عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين الف عابد} ، ويذكر امير المؤمنين "عليه السلام" في وصف أولياء الله عند تفسير الآية الكريمة {رَجَالٌ سَلَا تُلَاهِيهِمْ تَجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ}

قال : { إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَهُ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْأَقْلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْفَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَرْزَمَانَ الْفَتَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَامِهِمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَاوَاتِ مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ وَمَنْ أَخَذَ بِمِينَاً وَشِمَاً لَا ذِمَّةً إِلَّا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ وَحَدَّ رُؤُوسِ مِنَ الْهَلَاكَةِ وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تَلَاكَ الطُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تَلَاكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ الْأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنْ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تَجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتَفُونَ بِالزَّوْجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُذْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ فَكَأَنَّمَا فَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهِدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غِيُوبَ أَهْلِ الْبِرِّ زَخٍ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ }

ومن هؤلاء العلماء المستشرفون للمستقبل الذين يروا ما لا يرى الناس ، المذكورون بأيام الله والأدلة في الفلوات ، المرجعية الدينية المتمثلة بسماحه الشيخ اليعقوبي (دام ظله)

فمن الواضح للمتعمقين لخطابات وكلمات سماحته أنها لا تتحدث عن مناسبات آنية أو حوادث استثنائية حتى وإن عالجت مناسبات مخصوصة أو قيلت في ظروف معلومة وإنما هي خطابات تضع الأسس لهيكلية الإنسان الكامل وتسير باتجاه بناء ثقافة مجتمعية ذات مرتكزات شاملة على كافة الأصعدة العقلية والنفسية والروحية .

فلو عدنا لكلمة سماحته الموسومة (السيدة الزهراء "ع" تحثنا على اللجوء إلى الكهف المعنوي) التي ألقيت على جموع المعزين في ذكرى شهادة الزهراء " عليها السلام " في العام المنصرم ١٤٤١هـ

فقد أكد سماحته على سنة إلهية كونية أشار إليها القرآن الكريم في آيات متعددة منها قوله تعالى {
وَلَهُ أَسْلَامٌ مَّن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ }
ال عمران / ٨٣

فقد ذكر المفسرون ان معنى الاية الكريمة هو رجوع الناس إلى مولاهم الحق وهذا الرجوع اما طوعي للمؤمنين أو قهري للكافرين (فإن المؤمنين وهم في حال الرفاه والهدوء يسرون نحو □ بملء اختيارهم، اما غير المؤمنين فلا يسرون نحو □ إلا عندما تحيق بهم البلياء والمشكلات التي لاتطاق فيدعون ويتوسلون إليه فمع انهم في الظروف العادية يشركون به فإنهم في الشدائد والملزمات لا يتوجهون إلا إليه)

هذه السنة الكونية هي التي أشار إليها سماحة المرجع اليعقوبي (دام ظلّه) بعنوان الكهف المعنوي وأكد على ضرورة تفعيلها وتطبيقها لتكون قاعدة وأساس يستند عليه المؤمن والكافر في ظل الشدائد والمحن القادمة ، وتأكد حاجة البشرية جمعاء لهذه السنة الإلهية في ظل جائحة كورونا التي أوضحت مدى ضعف الإنسان وحاجته للمدد الإلهي والعناية الربانية واذلت الجايرة المستكبرين وأعادتهم إلى كهف الإيمان طوعا أو كرها .

فقد ذكر سماحته في إحدى خطابه في ظل جائحة كورونا كيفية رجوع الدول الأستكبارية للكهف المعنوي حيث قال [لقد أقرّ الغرب الغارق في الماديات بعد طول تمرد وجود بهذه الحقيقة وهي ان الرجوع الى ا] تعالى والالتجاء إليه هي القوة الحقيقة والوسيلة الفاعلة للتغلب على الامراض الجسدية والروحية فلا نستغرب إعلان الرئيس الأمريكي ترامب اليوم الأحد يوماً وطنياً للصلاة واعتبر الإعلان شرفاً عظيماً له ووصف بلده بأنه يتطلّع عبر تاريخه الى ا] للحماية والقوة في أوقات كهذه، وان ذلك يحقق الانتصار بسهولة]

وقد ذكر سماحته عدة مصاديق للكهف المعنوي تعالج الموقف في ظل الجائحة، يمكننا أن نجعلها بثلاث مصاديق

(١) كهف التقوى وطاعة ا] والقرآن والدعاء

حيث عالجت الجانب النفسي والروحي للانسان وتمنحه الامل برحمه ا] وبذلك تزداد الطاقة الإيجابية عنده التي تؤثر في قوة الجهاز المناعي للمصاب بل وغير المصاب أيضاً

(٢) كهف الاخوة الإيمانية والعمل الصالح

حيث عالجت الجانب الاجتماعي والاقتصادي للانسان بعد مرور العالم بأزمة اقتصادية حادة وانتشار الفقر بسبب الحجر الصحي فكان التضامن الاجتماعي ومساعدة المعوزين بالطعام والدواء هو الكهف والملاذ

(٣) كهف العلماء وعلوم أهل البيت وعقول المؤمنين

حيث عالجت الجانب الجسدي والعقلي للانسان فقد كانت إرشادات أهل الإختصاص من العلماء ونصائح الوقاية والمعالجة والحد من انتشار الجائحة له أثر كبير في شفاء العديد من الناس ووقاية آخرين

من هنا تبرز أهمية وجود المرجعية الدينية صمام أمان للأمة إذ أن العلماء لديهم القدرة على استشراق المستقبل القريب والبعيد وفق السنن الإلهية ووضع الحلول المناسبة للأحداث ومعالجة الأزمات، قال تعالى { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبَ بِهَا لِلنَّاسِ أَسْرًا] وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ لَئِنَّمَا لَ الْوَعْدُ لِمَنْ }
{ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبَ بِهَا لِلنَّاسِ أَسْرًا] وَمَا يَعْزُبُ عَنْهُمْ لَئِنَّمَا لَ الْوَعْدُ لِمَنْ }

وتتأكد أيضا ضرورة الاستماع لصوت المرجعية والأخذ بتوجيهاتها واستقراء ابعاد كلماتها المباركة التي فيها السعادة الدنيوية والاخروية والنجاة من شباك إبليس كما قال الإمام الهادي " عليه السلام" (لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج ائمة والمنقذين لضعفاء عباد ائمة من شباك إبليس ومردته ومن فحاخ النواصب لما بقي احد إلا ارتد عن دين ائمة)

وصلى ائمة على محمد واله الطيبين الطاهرين